**البـدايـة :**

**[ لَمّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إبليس يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ ][1]....**

**وكانت هذه أول دراسة شيطانية لآدم....**
**وكانت ترتكز على صفة الضعف فيه....**

**ومنذ هذه الدراسة لم يزل هذا النوع من الدراسات للنفس بنفس الخطوة الشيطانية المتقدمة والمرتكزة كذلك على صفة الضعف فيه..**

**فقامت الدراسات النفسية غير الإسلامية للإنسان من مجموع دراسة الأمراض النفسية والظواهر غير الطبيعية في الإنسان.**

**فكان لابد لأصحاب هذه الدراسات أن يوظفوا التفسير الصحيح للنفس في إطار هذه الأمراض والظواهر الشاذة، ولكي يكون هذا التفسير مقبولاً يتم إقناع المطلعين على هذه الدراسات بالموضوعية والواقعية..**

**ولنضرب لهذا الكلام مثلاً ...**
**قامـت التفسيرات الباطلة على أن جانب (الجنس) هو أساس تفسير السلوك الإنساني، وكان الجانب المقابل الذي أهدرته وبددته هذه الدراسات الباطلة هو جانب (العبادة). ومن هنا**

[1] (1) [ صحيح ] أخرجه مسلم في ( البر والصلة / بـ خلق الإنسان خلقا لا يتمالك / 2611 ) من حديث أنس .

**كان علينا أن نكشف بأنفسنا التناسب الخبيث الذي قامت عليه هذه الدراسات، والمقارنة الأساسية بين الجانبين هي التي تكشف هذا الخبث.... وكانت حقيقة الإحساس بالذات هي مجال المقارنة.**

**و كانت العبادة هي أصل الإحساس بالذات في النفس، ولأنها إثبات جوهري للوظيفة الإنسانية من حيث العلة لقوله سبحانه و تعالي (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56)**

**) وكذلك لأنها تحقق الاستيعاب الكامل للحياة الإنسانية، وبذلك أصبحت الصلاة هي معيار الشخصية الإنسانية.**

**و الصلاة هي جوهر العبادة و لذلك أصبحت الصلاة تحديداً هي المعيار الأساسي للشخصية .**

**والدليل القاطع على معيارية الصلاة للشخصية هي أن الشخصية باعتبارها المحصلة النهائية للأبعاد العقلية والقلبية والبدنية.**

**فإن الصلاة تكون نقطة الارتكاز في محصلة هذه الأبعاد الإنسانية كلها ولذا كان جزاؤها حفظ الإنسانـ ذاته إذا حفظها الإنسان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم : [ إن الصلاة المقبولة تقول لصاحبها : حفظك الله كما حفظتني ][1].**

**ولذلك قال رسول الله ﷺ [ إِنّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ**

---

(1) **[ حسن بشواهده ]** رواه الطبراني في ( الأوسط /3 / 263 ) من حديث أنس مرفوعا ، وفيه عباد بن كثير ، قال الهيثمي في ( المجمع / 1 / 302 ) قد أجمعوا على ضعفه .اهـ

**وله شاهد من حديث عبادة مرفوع** ، عزاه الهيثمي في "المجمع" للطبراني في " الكبير " ، والبزار ( 7 / 140 ) بنحوه ، وفيه الأحوص بن حكيم ، قال الهيثمي في ( المجمع / 2 / 122 ) وثقه ابن المديني والعجلي ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله موثقون .اهـ

**فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ] "[2].**

**ـ وفي ذلك دليل على معيارية الصلاة للإنسان كما كان الحديث دليلاً على معيارية الصلاة للعمل.**
**كما كان الكتاب مواجهة مع النفس..**
**مواجهة مع الضعف - الركون - التراجع - الفتور..**
**مع الخداع والتضليل والتبرير..**
**مع العورات النفسية والخفايا الوجدانية..**
**ثم جاء الكتاب بعد ارتباطه بمنهج الدعوة..**
**لمواجهه ذاتية للحركة الإسلامية..**
**مع السلوك والظواهر..**
**والاحساسات المترسبة من حياتنا الجاهلية في كياناتنا النفسية..**
**ومن أجل تلك المواجهة..**
**كانت الدراسة شرعية ودقيقة، وتحدد الأمراض بحسم تام...**
**لنقرر العلاجات بتوفيق من الله وثقة في الشرع.. بلا مواربة أو هوادة أو تردد...**
**فهي دراسة خافضة رافعة، ولكن ليس في الواقع كما سيكون الأمر يوم القيامة بل أمام النفس وداخلها.**

**كل منا يعرف نفسه ولكن الشرع يحدد النفس التي نعرفها جميعاً كالتي يعرفها صاحبها..**
**وكانت هذه هي إحدى أهداف الكتاب..**

---

[2] **(2) [ حسن بشواهده ]** أخرجه الترمذي في ( الصلاة / بـ ما جاء أم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة / ح 413 ) من حديث أبي هريرة .
قال الترمذي : حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه .اهـ
**قلت :** فيه الحسن البصري ،وهو مدلس ، وقد عنعن . وفيه حريث ين قبيصة . قال البخاري : في حديثه نظر .اهـ
**وله شاهد من حديث تميم الداري** عند أبي داود في ( الصلاة / بـ قول النبي صلى الله عليه وسلم كل صلاة لا يتمها / ح 874 ) وصحح إسنادها الحافظ ، كما قال المباركفور في تحفة الأحوزي ، وصححه الشيخ الألباني في ( الصحيحة / ج 3 / ص 343 / ح 1358 ) .

**ثم هدف آخر هو الدراسة النفسية ذاتها، الدراسة النفسية السلفية المتأصلة تأصيلاً شرعياً البعيدة عن المناهج الغربية وذلك في إطار الخطة الفكرية المطروحة من الحركة الإسلامية والمسماة باسمها "خطة أسلمه العلوم"**

**وبعد...**

**فقد كنت أقف طويلاً أمام موقف حسان بن ثابت عندما طلبت منه إحدى الصحابيات أن يقتل مشركاً يقترب منهن في إحدى الغزوات فيعتذر بعدم الاستطاعة.. فتقوم إحداهن وتفعل ما طُلب منه.. وهو من أهل بدر..**
**أقول كيف ؟**
**! سبحان الله.**
**ولكني وجدت في هذا الموقف أقوى دلالات الكيان الإنساني الصحيح وأقوى هذه الدلالات هو أن يعرف كل إنسان قدر نفسه.**
**ويساوى هذه الدلالة خطوات أبو دجانة مختالاً في المعركة..**
**كلاهما يعرف قدر نفسه، وهذه دلالة الصحة.. لا القوة ولا الضعف ولكن إدراك القوة والضعف.**
**لا وقت للانسياق وراء الإحساس بالبطولة والشجاعة والزعامة بين الإنسان ونفسه.**
**لا وقت للاطمئنان الوهمي إلى صواب الإنسان بينه وبين نفسه.**
**لا وقت... حتى ولا طرفة عين... ولهذا يستعيذ النبي ﷺ بالله أن يوكله الله إلى نفسه طرفة عين فيقول :-**
**"اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأكن من الخاسرين "[1].**

---

(1) **[ قابل للتحسين ]** أخرج أبو داود في ( الأدب / بـ ما يقول إذا اصبح / 5090 ) ، وابن حبان في ( صحيحة / 3 / 250 / ح 970 ) من حديث أَبِي بَكْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

**من أجل ذلك كان لابد من إنشاء علم النفس الإسلامي.**
**وإنشاء علم النفس الإسلامي يقوم على ثلاث دعائم**
**المنهج القياسي. النفس القياسية. البيئة القياسية.**

**المنهج القياسي :**

**وما نعنيه بالمنهج القياسي أن يكون منهج هذه الدراسة منهجاً ربانياً لأن الله عز وجل هو الخالق وهو الأعلم بمن خلق كما قال سبحانه ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبير (الملك 14 " والتعقيب بقوله سبحانه و تعالي وهو اللطيف الخبير يدل على معرفة الإنسان بصورة كاملة، فاللطيف : العالم بدقائق الأمور والخبير هو العالم بكنه الشيء المطلع على حقيقته وهذا التفسير أنسب ما يكون للنفس البشرية بدقتها وغموضها وحقيقتها وكنهها، والواقع أن هذا الأسلوب شرط علمي لأي دراسة في النفس البشرية.**

**والقرآن هو المنهج الرباني، ولذلك لابد أن تنطلق أي دراسة للنفس من القرآن الكريم، وكما كان من المستحيل إدراك حقيقة النفس إلا من خلال ما علمنا من كتاب ربنا وهو خالقنا فإنه كان من المستحيل أيضاً إدراك حقيقة السلوك إلا من**

---

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
[ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ] .
قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : قَالَ جَعْفَر بْن مَيْمُون يَعْنِي رَاوِي هَذَا الْحَدِيث لَيْسَ بِالْقَوِيِّ . هَذَا آخِر كَلَامه . وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْن مَعِين لَيْسَ بِذَاكَ , وَقَالَ مَرَّة لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ مَرَّة بَصْرِيّ صَالِح الْحَدِيث . وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد لَيْسَ بِقَوِيٍّ فِي الْحَدِيث , وَقَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيُّ صَالِح اِنْتَهَى . ( عون المعبود / 5090 )
قال الشيخ شعيب : إسناده محتمل للتحسين .

خلال ما علمنا من كتاب ربنا وخالق أعمالنا (والله خلقكم وما تعملون ) ولذلك كان المنهج قياسياً لأنه منهج ربنا الذي يعلم النفس ويعلم عملها يعني : الطبيعة والسلوك.

و كذلك النصوص الشرعية الواردة عن رسول الله ﷺ وكذلك أقوال الصحابة والتابعين الدائرة في إطار هذه الدراسة باعتبارهم السلف الناقل إلينا فهم الكتاب والسنة.

وأي منهج يدعى أحد قياسيته يكون كذباً لأنه من عند نفسه فلا بد أن يتأثر بطبيعته و أحواله النفسية و بيئته الاجتماعية .

**النفس القياسية :**

**أما النفس القياسية فهي التي يتصور أصحاب المناهج الجاهلية في دراسة النفس أنها أمرٌ مفترضٌ نظرياً ليس له وجود في الواقع، أما في الدراسة الإسلامية فإن النفس القياسية عندنا هي رسول الله ﷺ ومن هنا كان قول الله عز وجل :**
**(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ) الأحزاب : 2**

**وهذه الآية نزلت بمناسبة غزوة الأحزاب حيث تميز رسول الله ﷺ عن جميع الصحابة بشجاعته حين خافوا، وقوته حين ضعفوا. فكان ذكر الآية في غزوة الأحزاب دليلاً في ذاته على قياسية نفس رسول الله ﷺ حتى قال رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب : " من يأتيني بخبر القوم وأضمن له الجنة " فلا يقوم أحد.حتى قال : " قم يا حذيفة "، فقام وهو يقول : والله لولا سماني ما قمت.[1] فالآيات تقرر خوف أصحاب رسول الله ﷺ وثباته هو.**

**البيئة القياسية :**

**ولما كانت النفس القياسية هي نفس رسول الله ﷺ كانت البيئة هي الواقع البشرى المحيط برسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال الدعوة بكل ظروفها وأحوالها، ومن هنا جاءت**

---

(1) **(1) [ صحيح ]** أخرجه مسلم في ( الجهاد / بـ غزوة الأحزاب / 1788 ) من حديث حذيفة .

**الآيات التي تصور تجانس المنهج القياسي مع النفس القياسية والبيئة القياسية.**

**(وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أهل يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الأحزاب لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأحزاب يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ).**

**لكننا إذ نعتبر أن البيئة القياسية لدراسة النفس البشرية هي الدعامة الثالثة، فذلك لأنها في نفس**

الوقت هي مرحلة تطور الإنسان من مجرد آدمي إلى إنسان صاحب رسالة يعيش قضية الإنسان، وهي الفترة من بداية نزول الوحي حتى وفاة الرسول لان الوحي هو الذي انتقل بالإنسان هذه النقلة ، وهذا بصفة أساسية. ولا يملك هذه الدعائم التي تمثل في نفس الوقت شروطاً علمية لدراسة النفس البشرية إلا المسلمون وبذلك تسقط الصفة العلمية عن أي محاولة لدراسة النفس البشرية لا تنطلق من هذا الاتجاه ولا تقوم على هذه الدعائم..

لم يكن القصد من ذكر ما سبق تقديماً للدراسة النفسية ولا حتى تلميحاً بمقتطفات منها، فالأمر أكبر من أن يحققه حيز هذه المقدمة ، إنما كان القصد فقط هو تنبيه الحاسة النفسية في التعامل مع النصوص لأننا بتلك الحاسة سنكشف معاً كنزاً من النصوص الشرعية نصيغ به منهجاً إسلامياً لدراسة النفس البشرية منهجاً من الإسلام الخالص، ليست له علاقة بأي مدارس أو نظريات أو مصطلحات أخرى، ولا يقارن بها ولا يقاس عليها، منهجاً إسلامياً لا يعترف ولا يعتبر أي اعتبار لأي طرح تصوري عن النفس يأتي من خارجه؛ لأنه المنهج الوحيد الذي يملك أصحابه إمكانية هذه الصياغة وشروط النجاح فيه.